

كيف نربي أبنائنا على الشهامه ؟



الأربعاء 29 مايو 2024 07:35 م

تميّز العرب عن غيرهم من الشعوب بخُلُق الشهامه فأقرّهم عليه الإسلام، وحثّ عليه المسلمون، وجعله من واجباتهم وأولوياتهم الأخلاقية، وهو يظهر في العديد من المجالات، أبرزها الدفاع عن الحق والعدالة، ونصرة المظلومين، ومساعدة المحتاجين، ونشر القيم الأخلاقية الرفيعة، مثل الكرم والعطاء، والصدق والأمانة.

وهذا الخُلُق من صفات الرّجال العظماء، وهو يشيع المحبة في النفوس، ويزيل العداوة بين الناس، ويحفظ الأعراس، وينشر الأمن في المجتمع، وعلامة على علو الهمة، وشرف النفس، لذا شدد الإسلام على أهميته والالتزام به.

مفهوم الشهامه الإسلام

وتُعرف الشهامه في اللغة بأنها مصدرٌ شَهَمَ، وهذه المادّة تدلُّ على الدكّاء، والشّهْم: الدكُّ الفؤاد المتوقّد، الجلْد، والجمعُ شَهَامٌ، وقد شَهَمَ الرَّجُلُ، بالضمِّ، شهامَةً وشهُومَةً: إذا كان دَكْبًا، فهو شَهْمٌ، أي: جَلْدٌ. وقيل: الشّهْمُ معناه في كلام العرب: الحمول، الجيّد القيام بما يحول، الذي لا تلافاه إلا حمولًا، طيَّب النَّفْسَ بما حُمِّل.

وفي الاصطلاح، قال ابنُ مسكويه: إنها الجِرسُ على الأعمالِ العظامِ توفِّقًا للأحدوثِ الجميلة. أو هي: الجِرسُ على الأمورِ العظامِ؛ توفِّقًا للدُّكرِ الجميلِ عندَ الحقِّ والخلقِ. وقيل: هي عِرَّةُ النَّفْسِ وجرسُها على مباشرةِ أمورٍ عظيمةٍ، تستنبيحُ الدُّكرَ الجميلِ.

الشهامه في القرآن والسنة

وأشار القرآن الكريم إلى خلق الشهامه في قصة نبيِّ الله موسى- عليه السلام- حين فرّ هارثًا من بطش فرعون، وقد أصابه الإعياء والتعب، فلما وردَ ماءَ مَدْيَنَ ووجد الناس يسقون، وجد امرأتين قد نتجتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقى، فلما عرّف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدّم بنفسه وسقى لهما.

قال الله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُوتَا شَيْخَ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٌ) [القصص: 23، 24].

وكان يوسف- عليه السّلام- شهيمًا على الرغم من وجوده في السجن، حيث أوّل رؤيا الصّليك التي حار في تأويلها المتأولون، أوّلها يوسف- عليه السّلام- دونَ مُساومةٍ على حرّيته، وبلا أجرٍ، وهو المسجونُ ظلّمًا، وكان لتأويله أثرٌ في نجاهِ العبادِ والبلايا.

قال تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِيقُ أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَقْرٰتِ سِيَمٰنٍ بِأَكْلُهُنَّ سِنْعَ عِجَافٍ وَسِنْعَ سُنْبُلٰتٍ حُصِرَ وَأُخْرِتَ بِأَيْسَابٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ بَأْسَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سِنْعَ سِنِيْدَاذٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ بَأْسَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصِرُونَ) [يوسف: 46 – 49].

وحتّ النبي- صلى الله عليه وسلم- على خلق المروءة والشهامه، فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نكس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نكس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (البخاري).

وعن أنس- رضى الله عنه- قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشَجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَبْقَهُ، وَقَالَ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَدْتُهُ تَحْرًا يَغِيي الْقَرَسَ" (البخاري ومسلم).

والمعنى، أن أهل المدينة فرعوا ليلَةً لَمَّا سَمِعُوا صَوْتًا قَوِيًّا، فَحَرَجُوا مُتَوَجِّهِينَ نَاحِيَةَ هَذَا الصَّوْبِ، فَتَلَقَّاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَقَدْ اسْتَكْشَفَ الْخَيْزَ وَعَرَفَ حَقِيقَتَهُ، وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ بَعِيرٍ سَرَّجٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَلِّدًا سَبْقَهُ، وَمُعَلِّقَهُ فِي عُنُقِهِ، فَقَالَ -مُهَدِّدًا مِنْ رَوْعِهِمْ وَخَوْفِهِمْ-: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، فَلَا تَخَافُوا خَوْقًا مُسْتَفْرِّئًا، أَوْ خَوْقًا يَصُرُّكُمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مُخَيِّرًا عَنِ الْقَرَسِ-: «وَجَدْتُهُ تَحْرًا»، فَسَبَّهَ

القرسَ بالبحر؛ يسعَى جزيه مع انسيابه وخفيته مثل البحر.

قال القرطبي: "في هذا الحديث ما يدل على أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان قد جمع له من جودة ركوب الخيل، والشجاعة، والشهامة، والانتهاض الغائي في الحروب، والفروسية وأهوالها، ما لم يكن عند أحد من الناس".

ومن الشهامة نجدة المسلم لأخيه: قال: "المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي خَاجَةٍ أَجِيرٌ كَانَ اللَّهُ فِي خَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وضرب صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أروع الأمثلة في الشهامة والمروءة. - فعن عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه- قال: "إني لفي الصفِّ يوم بدر، إذ التقتُ فإذا عن يميني وعن يساري قتيان حديثا السنن، فكأني لم أمرن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما بيترًا من صاحبه: يا عمَّ أرنى أبا جهل. فقلتُ: يا ابنَ أخي، وما تصنعُ به؟ قال: عاهدتُ الله إن رأيتُه أن أقتله أو أموت دوته. فقال لي الآخرُ بيترًا من صاحبه مثله، فما سترني أني بين رجلين مكاتهما، فأسرتُ لهما إليه، فسدًا عليه مثل الصَّقرين حتَّى صرَّباه، وهما ابنا عفرَاء" (بخاري).

وعن أسلم مولى عُمرَ قال: "حزجتُ مع عُمرَ بن الخطَّاب- رضي الله عنه- إلى الشَّوق، فلججتُ عمرَ امرأةً شائبةً، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، هلك زوجي وترك صبيَّةً صغارًا، والله ما يُضيحون كُرَاعًا، ولا لهم زرعٌ ولا ضرعٌ، وخيبتُ أن تأكلهم الضَّيعُ، وأنا بنتُ خُفَّافِ بنِ إيماءِ الغفاريِّ.

وقد شهد أبي الخديبة مع النبي- صلى الله عليه وسلم-، فوقف معها عُمرُ ولم يَمْضِ، ثمَّ قال: مرحبًا بتسبي قريب، ثمَّ انصرف إلى بعيرٍ ظهيري كان مربوطًا في الدَّارِ، فحمل عليه غرارتين ملاءهما طعامًا، وحمل بينهما نفقةً وثيابًا، ثمَّ ناولها بخطامه، ثمَّ قال: افتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، أكتزرت لها! قال عُمرُ: تكلِّك أُمَّك! والله إنني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه، ثمَّ أصبَحنا نستقي شُهْمَاتهما فيه" (بخاري).

وسار التابعون على الدرب نفسه، فها هو أبي عبد الرحمن السَّائِبُ صاحبُ السُّننِ تطهر شهامته في فداء المسلمين، قال أبو الحسين محمد بن مُطَّهر الحافظ: "سمعْتُ مشايخنا يمتدحون بعتر فون لأبي عبد الرحمن السَّائِبِ بالتَّعَدُّمِ والإمامة، وتصفون من اجتهاده في العبادة اللَّيْلِ والنَّهارِ ولمواظبته على الحجِّ والجهاد، وأتته خرج إلى الفداء مع والي يَصْرَ، فوصف من شهامته وإقامته السُّننِ المأثورة في فداء المسلمين واحترازه عن مجالسة السُّلطانِ الذي خرج معه والانبساط بالمأكول والمشروب في رحلته، وأتته لم يتزل ذلك دأبه إلى أن استشهد رضي الله عنه بدمشق من جهة الخوارج".

وابن تيمية يحرض على قكاك الأسرى من غير المسلمين من أيدي التتر: قال ابن تيمية: "وقد عرف النصارى كلهم أتت لهما خاطبت التار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غاران وقلو شاه، وخاطبت مولاي فيهم فستح بإطلاق المسلمين. قال لي: ليكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يُطلقون. فقلتُ له: بل جمع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ديمنا؛ فإننا نفتكهم ولا تدع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الدمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله".

وسائل عملية للتربية

ويمكن تربية الأبناء على الشهامة والمروءة من خلال الالتزام بتطبيق بعض الوسائل التربوية العملية، ومنها:

وصف الأطفال بصفة الشهامة: وهو ما يُنمي لديهم الإحساس بالمسؤولية، وحب القيام بأفعال هذا الخلق الجميل.

البدء في الصغر: لأن السنوات الأولى من عمر الطفل هي الأكثر أهمية في تكوين شخصيته، لذا من الضروري غرس صفة الشهامة في الأبناء في هذا السن.

القدوة الطيبة: فالطفل يتعلم من خلال التقليد، لذلك من المهم أن يكون الآباء قدوة حسنة لأبنائهم في الكرم والشجاعة والعدل والإيثار والشهامة.

الثناء والمكافأة: حينما يتصرف الأبناء بشهامة، لا بد من شكرهم ومكافأتهم، حتى يحبون هذا الخلق ويتشبثون به طوال حياتهم.

الحديث عن الشهامة: فمن المهم أن يتحدث الآباء مع أبنائهم عن أهمية الشهامة، ويقصون عليهم القصص والحكايات التي تجسد هذا الخلق.

المشاركة في الأعمال الخيرية: من الممكن أن يشارك الآباء أبنائهم في الأعمال الخيرية، مثل مساعدة الفقراء والمحتاجين، ورعاية المرضى، وغير ذلك من أعمال تدل على المروءة والشهامة.

دفع الأبناء على التفكير في الآخرين: يُمكن للآباء طرح أسئلة على أبنائهم بخصوص إمكانية مساعدة الآخرين.

تربية الأطفال على الدفاع عن الحق والعدالة: ويكون ذلك في المواقف المختلفة حتى لو كان ذلك ضد مصلحتهم الشخصية.

تدريب الأطفال على التصحية: سواء كانت التصحية بوقت أو مال أو جهد.

الشهامة كرم وإيثار وتربية، وحب المساعدة، وصدق وشفافية، ووضوح وجولة، ووفاء ومصارحة، وتقديم الخير، وكل قيمة نبيلة، وهي من صالح الأخلاق التي بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- ليتممها، وهي عزة النفس وحرصها على مباشرة الأمور العظيمة، وعلامة فارقة على علو الهمة وشرف النفس.